تعاونيات الصبار فى المغرب .....نماذج رائدة فى الاقتصاد الإيكولوجى

عبدالمولى إسماعيل

باحث فى مجال البيئة والتنمية

هناك فى منطقة "بن جرير" التابعة لأقليم الرحامنة" بالمغرب ، القريب من جهة مراكش وأسفى تتركز العديد من النماذج الإيكولوجية الرائدة ، وذلك على الرغم من المشكلات المناخية التى يعانيها الأقليم الذى يتسم بمناخ قارى وارتفاع فى درجات الحرارة ، وسنوات ممتدة من الجفاف حيث انخفاض فى مستوى التساقطات المطرية التى تتراوح ما بين 200 إلى 500 ملم فى المواسم الممطرة ، مما يؤثر سلبيا على النشاط الفلاحي الذى يشكل القاعدة الرئيسية للنشاط الاقتصادى بالأقليم والذى يعمل به ما يقرب من 80% من السكان ، وتقدر المساحة الصالحة للزراعة بـــ51% من المساحة الاجمالية للاقليم التى تقدر بـــ 548000 هكتار .

فى ظل هذا الجفاف الذى يعانيه أقليم "الرحامنة" تأتى تعاونيات "الصبار" التى تديرها بعضها سيدات من قرى مختلفة بأقليم "الرحامنة" ، من بينها تعاونية صبار الرحامنة ، والهديان ....إلخ ، والتى تقوم بزراعة هذا النبات المعروف "بالصبار أو التين الشوكى أو الكرموس "، وذلك بهدف تعميق الاستفادة من الناحية الإيكولوجية من جهة الاقتصادية من جهة أخرى ، فمن الناحية الأيكولوجية قامت تعاونيات "الصبار" بالتوسع فى زراعته بسبب ضعف خصوبة التربة ، وأيضا الاستفادة من نبات "الصبار " فى تثبيت التربة من خلال مقاومة عملية التجريف وعوامل التعرية والتصحر بمنطقة الرحامنة ، بالإضافة غلى الاستفادة الكبيرة فى مواجهة ظاهرة التغيرات المناخية وذلك من خلال قدرة نبات الصبار على تخزين الماء فى ظروف الجفاف الشديدة او عند التجمد فى درجات الحرارة المنخفضة حيث يقوم بتخزين الطاقة عبر أشعة الشمس وثانى أكسيد الكربون اللازمة لنموه .

على الجانب الآخر نجحت تعاونيات "الصبار" فى تعظيم القيمة الاقتصادية من خلال استخدامة كفاكهة طرية فى فصل الصيف ، ولكن عندما تشتد الحرارة تفقد فاكهة "الصبار" ما قيمته من 50 % إلى 70% من محصول الصبار، لذا قامت تعاونيات الصبار فى منطقة " بن جرير والرحامنة " بتصنيع نبات الصبار " وذلك بهدف تعميق الاستفادة الكاملة من نبات "الصبار" سواء بالاستفاده منه فى صناعات غذائية من خلال استخدام ما تحتوى عليه الثمرة من المادة الطرية التى تستخدم فى صناعة مربى وعصائر الصبار أو التين الشوكة ولما له من أهمية كبيرة فى عملية التمثيل الغذائى لما تحتوى عليه من الياف تساعد فى عملية الهضم ، واستخدام بذور ثمرة "الصبار ،التين " فى انتاج أنواع مختلفة من الزيت الذى تصل قيمة اللتر الواحد منه إلى ما يقارب الـــ 600 دولار ويتم تصديره خارج المغرب ، بالإضافة إلى أنتاج أنواع أخرى من زيوت التجميل ، وصناعة صابون "الصبار" المنتج من مخلفات ثمرة "الصبار" ، بالإضافة إلى استخدام فاقد الثمار التى لا تصلح للاستخدام الأدمى بعد عصرها فى استخداماتها كعلف للماشية .

بالإضافة إلى استخدامات ألواح الصبار فى بعض الصناعات الغذائية كالمخللات وأيضا كعلف للماشية لما تحتوى عليه ألواح "الصبار" من مخزون كبير من الطاقة ونسبة عالية من السكريات التى يتم خلطها بمخلفات النباتات لتعطى قيمة علفية كبيرة .

، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد فمن من بين المزايا الاقتصادية الكبيرة استخداماته فى تربية النحل الذى يتعذى على أزهار "الصبار" وإنتاج أجود نواع العسل .

وأيضا من بين الاستخدامات الهامة استخداماته فى الطب العلاجى حيث تحتفظ ذاكرة الشعوب باستخداماته فى معالجة داء السكرى، وخفض نسب الكوليسترول ، والوقاية من تصلب الشرايين وأمراض السمنة وعلاج حالات الأسهال ...إلخ .

ونتيجة لنجاح تجارب زراعة "الصبار" سواء من حيث القيمة الاقتصادبة أو الإيكولوجية فقد بدء التوسع فى زراعة "الصبار" وبخاصة فى المناطق غير الصالحة للزراعة والتى تتسم تربتها بانخفاض خصوبتها سواء فى الهضاب او المناطق الوعرة ، ونتيجة لهذا التوسع فى زراعة نبات الصبار زادت المساحة المنزرعة بنبات الصبار إلى 120 ألف هكتار بالمغرب منها 30 ألف هكتار بأقليم الرحامنة .

تعاونيات الصبار ومواجهة أمراض الفقر والهشاشة الاقتصادية والبيئية

من بين المزايا الاقتصادية لتجربة تعاونيات "الصبار" فى منطقة "بن جرير" بأقليم "الرحامنه" إدماجها للعنصر النسائى فى منطقة "بن جرير" بحيث أن من يدير أغلب تعاونيات "الصبار" هن من السيدات ، ولا نبالغ إن قلنا أن عديد من التعاونيات أنشأتها سيدات وعضويتها كاملة من السيدات وبالطبع مجالس إدارتها ، حيث يتركز نشاط التعاونيات بالعديد من الأدوار من بينها توعية المزارعين بأهمية زراعة "الصبار" بدءا من عملية الغراس وبخاصة فى المناطق القاحلة والتى تتسم بهشاشة بيئية ومن ثم تحويل البيئات القاحلة والمعرضة للتصحر إلى استنباتها بنبات الصبار ، بالإضافة إلى توعية الساكنة بأهمية استخدامات "الصبار" الغذائية والعلاجية والعلفية ، والقيام بنقل المعارف سواء التقليدية أو ذات التقنيات العالية فى التصنيع الكامل لنبات الصبار .

استخدامات تعاونيات الصبار فى مواجهة التصحر والتغيرات المناخية فى مصر كنموذج

لعل الاستفادة الكبرى من تجارب تعاونيات الصبار بالمغرب تتركز فى تعميم تلك التجربة فى العديد من البلدان ومن بينها مصر وبخاصة فى ظل الندرة المائية التى تعانيها الأرض المصرية ، وهناك 96% من مساحة الأرض المصرية هى صحراوية وشبه صحراوية ، وأيضا فى ظل

التعديات التى تعانيها الاراضى الزراعية فى الوادى والدلتا والتى وصلت إلى ما يقارب ثلاثة ملايين فدان منذ عام 1950 وحتى الآن ، بحيث صارت أراضى الوادى والدلتا تتجاوز الخمسة ملايين فدان بالكاد ، ولاشك أن زراعة نبات الصبار او التين الشوكى فى مصر سيساعد بدرجة كبيرة فى امتصاص و اختزان نسب كبيرة من تانى أكسيد الكربون ليعاد استخداماته مرة أخرى فى عملية التمثيل الضوئى ، واستخداماتة الصناعية المختلفة سواء فى الصناعات الغذائية أو العلفية وبخاصة أن هناك عجزا كبيرا فى سوق الأعلاف المصرية الذى يتم تغطيته بمزيد من الاستيراد من الأسواق الخارجية .

بالإضافة إلى أن زراعة الصبار لا تحتاج إلى استخدامات مائية كبيرة فى زراعته تتراوح ما بين 300 إلى 400 ملم فى السنة .

الأمر الذى يمكن أن يساعد فى التخفيف من الآثار المختلفة من التغيرات المناخية وفى القلب منها عملية التصحر .

تم الاعتماد فى هذا المقال على عدد من الكتابات

- مقابلات ميدانية مع عدد من تعاونيات الصبار بمنطقة " بن جرير " بأقليم الرحامنة بالمغرب .
- اهمية زراعة الصبار بمنطقة الرحامنة ، المعهد الوطنى للبحث الزراعى بالمغرب
- التعداد الزراعى فى مصر 2010/2009 ، وزارة الزراعة واستصلاح الأراضى .
- الكتاب السنوى الإحصائى 2014 ، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء .